٢٣ فضل حُسن الخُلق

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: إن حُسن الخُلق من أبرز علامات أهل الإيمان وحلية

المتقين في واسع الجنان حُسن الخُلق سبب في صلاح الأمة وذهاب أخلاقها ذهاب لعزها ومكانتها .

ولله در من قال:

إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وقال آخر:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتمًا وعويلا

وحُسن الخُلق يكون مع الله ويكون مع عباد الله.

قال بعض السلف: حُسن الخلق قسمان أحدهما مع الله – عَزَّوَجَلَّ – وهو أن كل ما يأتي منك يوجب عذرًا ، وكل ما يأتي من الله يوجب شكرًا، فلا تزال شاكرًا له معتذرًا إليه سائرًا إليه بين مطالعة منته ، وشهود عيب نفسك وأعمالك.

والثاني: حُسن الخلق مع الناس ، وجماعه أمران: بذل المعروف قولًا وفعلًا وكف الأذى قولًا وفعلًا. (١)

ولهذا قال عبد الله بن المبارك –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– : حُسن الخلق كف الأذى وبذل الندى وطلاقة الوجه ، والمراد بكف الأذى أن لا يؤذي الناس لا بلسانه كالغيبة والنميمة ولا بجوارحه كالضرب والقتل.

والمراد بالندى العطاء فيبذل العطاء من مال وعلم وجاه. وطلاقة الوجه بأن يلاقي الناس بوجه منطلق ليس بعبوس ولا مصعر خده فهذا هو حُسن الخلق .

وحُسن الخُلق فضله عظيم ، وثوابه عند الله كبير ، قال الله تعالى:

(١) تهذيب السُنن ج٥(٢٣١٢) لابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ– .

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ ﴾[آل عمران :١٣٣-١٣٤].

وقال تعالى ﴿ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٣٥﴾ ﴾ [فصلت :٣٤-٣٥] .

ولله در أبي العتاهية حينما قال:

وإذا تناسبت الرجال فما أرى نسبًا يكون كصالح الأعمال

وإذا بحثت عن التقي وجدته رجلًا يصدق قوله بفعال

وإذا اتقى الله امرؤ وأطاعه فتراه بين مكارم ومعال (١)

وقال الله تعالى: ﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف :١٩٩] .

قال عبد الله بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أمر الله نبيه ﷺ أن يأخذ العفو من أخلاق الناس (٢) ، وقال الله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ [القلم :٤] .

وفي مُسند الإمام أحمد (٣) عن سعد بن هشام بن عامر قال: أتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخُلق رسول الله ﷺ قالت: كان خُلقه القرآن أما تقرأ القرآن قول الله - عَزَّوَجَلَّ -: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ﴾ قلت: فإني أريد أن أتبتل قالت لا تفعل أما تقرأ ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ

(١) ديوان أبي العتاهية ص (٢٤٨) .
(٢) البخاري برقم (٤٦٤٤).
(٣) أحمد برقم (٢٤٦٠١) صححه الشيخ شعيب .

حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾ فقد تزوج رسول الله ﷺ وقد ولد له.

ومما يدل على حُسن الخلق ومنزلته العظيمة وصيت النبي ﷺ لمعاذ بن جبل وأبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا « **اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخُلق حسن** ». (١)

قال العلامة ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- (٢) : جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحُسن الخُلق ، لأن تقوى الله تصلح ما بين العبد وبين ربه وحُسن الخُلق، يصلح ما بينه وبين خلقه ، فتقوى الله توجب له محبة الله ، وحُسن الخُلق يدعو الناس إلى محبته.

خالق الناس بخلق حسن لا تكن كلبًا على الناس يهري

وحُسن الخُلق يوجب محبة الله لصاحبه :ففي مستدرك الحاكم (٣) عن أسامة بن شريك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنا جلوسًا عند النبي ﷺ كأنما على رؤوسنا الطير ، لا يتكلم منا متكلم إذ جاءه ناس من الأعراب ، فقالوا : يا رسول الله أفتنا في كذا ، أفتنا في كذا ، فقال : « **يا أيها الناس من الأعراب وضع الله الحرج إلا من اقترض لأخيه عرضًا فذلك الذي حرج وهلك** » ، قالوا: أفنتداوى يا رسول الله ؟ قال : « **نعم إن الله** - عَزَّوَجَلَّ - **لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء غير داء واحد** » قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : « **الهرم** » قالوا : فمن أحب عباد الله إلى الله ؟ قال : « **أحسنهم خلقًا** » .

وحُسن الخُلق يوجب لصاحبه محبة رسول الله ﷺ والقرب منه يوم

(١) صحيح الترمذي برقم (١٩٨٧).
(٢) فوائد الفوائد ص (٢١٠).
(٣) المستدرك ج٤(٤٠٠) وصحيح الأدب المفرد برقم (٢٩١).

القيامة: ففي سُنن الترمذي [١] عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : أن رسول الله ﷺ قال: « **إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقًا ، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلسًا يوم القيامة : الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون** » قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون فما المتفيهقون ؟ قال : « **المتكبرون** » .

وحُسن الخُلق سبب في دخول الجنة :ففي سُنن الترمذي [٢] عن أبى هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : سُئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة فقال : « **تقوى الله وحُسن الخُلق** ». وسُئل عن أكثر ما يدخل الناس النار فقال : « **الفم والفرج** » .

وفي سُنن أبى داود [٣] عن أبى أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ: « **أنا زعيم ببيت في ربض الجنة ، لمن ترك المراء وإن كان محقًا ، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب ، وإن كان مازحًا ، وببيت في أعلى الجنة لمن حُسن خلقه** ».

وفي سُنن أبى داود [٤] أيضا عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم** » .

وحُسن الخُلق سبب في كمال الإيمان:ففي سُنن أبي داود [٥] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خُلقا** ».

ومن فضائل حُسن الخُلق أنه أثقل شيء في ميزان العبد يوم القيامة:

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٠١٨) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٠٠٤) .
(٣) صحيح أبي داود برقم (٤٨٠٠) .
(٤) صحيح أبي داود برقم (٤٧٩٨) .
(٥) صحيح أبي داود برقم (٤٦٨٢) .

فعند أبي داود[١] عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : عن النبي ﷺ قال : « **ما من شيء أثقل في الميزان من حُسن الخلق** » .

ومن فضائل حُسن الخُلق أنه خير الأعمال وأجل الصفات :فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « **لقي رسول الله ﷺ أبا ذر فقال : يا أبا ذر ألا أدلك على خصلتين هما أخف على الظهر و أثقل في الميزان من غيرهما ؟**» ، قال: بلى يا رسول الله ، قال « **عليك بحُسن الخلق و طول الصمت، فوالذي نفس محمد بيده ما عمل الخلائق بمثلهما** » .[٢]

ومن فضائل حُسن الخُلق أنه سبب لتعمير الديار وزيادة الأعمار :ففي مُسند أحمد[٣] عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال لها « إنه من أعطي حظه من الرفق فقد أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة وصلة الرحم وحُسن الخُلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار » .

وما أحسن ما قاله الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : الدين كله خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين.[٤]

وقال الإمام الماوردي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : إذا حسنت أخلاق الإنسان كثر مصافوه ، وقل معادوه ، فتسهلت عليه الأمور الصعاب ، ولانت له القلوب الغضاب .[٥]

نسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يرزقنا الأخلاق الحسنة ، وأن يجنبنا الأخلاق السيئة ، إنه ولي ذلك والقادر عليه. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) صحيح أبي داود برقم (٤٧٩٩) .
(٢) المعجم الأوسط برقم (٧٢٤٥) والصحيحة برقم (١٩٣٨) .
(٣) أحمد (٢٥٢٥٩) والصحيحة برقم (٥١٩) .
(٤) مدارج السالكين ج٢(٢٩٤) .
(٥) أدب الدنيا والدين ص (٢٦٥) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله ذي الفضل والإحسان جعل حُسن الخُلق طريقًا إلى الفوز والرضوان ، أحمده وأشكره كل يوم هو في شأن ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي بالتقوى والمكارم ، زكاه وعلى آله وصحبه الذين ائتمروا بأمره واهتدوا بهده .

أما بعد: فيا أيها المسلمون: إن الله - عَزَّوَجَلَّ - بعث رسوله ﷺ ليتمم به مكارم الأخلاق وصالحها ، فقد ثبت في مُسند أحمد [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»، وقد كان ﷺ يدعو الناس بلسان مقاله ويدعوهم بلسان حاله بأخلاقه وكريم فعاله

والخُلق الحسن إنما هو رزق من الله : فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن الله قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، و إن الله يعطي الدنيا من يحب و من لا يحب ، و لا يعطي الإيمان إلا من أحب ، فمن ضن بالمال أن ينفقه و خاف العدو أن يجاهده ، و هاب الليل أن يكابده ، فليكثر من قول : سبحان الله والحمد لله و لا إله إلا الله ، و الله أكبر** » . [٢]

ولله در من قال:

فـإذا رزقـت خليقة محمودة فقد اصطفاك مقسم الأرزاق

---

(١) أحمد برقم (٨٩٥٢) وصحيح الجامع برقم (٢٣٤٩) .
(٢) الحاكم ج١(٣٣) والصحيحة برقم (٢٧١٤) .

فالناس هـذا حظه مـال وذا علم وذاك مـكـارم الأخـلاق
والمـال إن لم تـدخـره محصنًا بالعلم كـان نهـايـة الإمـلاق
والعلم إن لم تكتنفه شمائل تعليه كـان مطية الإخـفـاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده مـا لم يـتـوج ربـه بخـلاق

عباد الله: جمع بعض العلماء علامات حُسن الخُلق فقال : هو أن يكون كثير الحياء ، قليل الأذى كثير الإصلاح ، صدوق اللسان قليل الكلام ، كثير العمل ، قليل الزلل ، قليل الفضول ، برًا وصولًا ، وقورًا صبورًا شكورًا ، رضيًا حليمًا ، رفيقًا عفيفًا شفيقًا ، لا لعانًا ولا سبابًا ، ولا نمامًا ولا مغتابًا ، ولا عجولًا ولا حقودًا ، ولا بخيلًا ولا حسودًا ، بشاشًا هشاشًا ، يحب في الله ويبغض في الله ، ويرضى في الله ، ويغضب في الله ، فهذا هو حُسن الخُلق.

إن المـكـارم أخـلاق مطهرة فالعقل أولهـا والـديـن ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والعرف ساديها
والـبر سابعها والصبر ثامنها والشكر تاسعها واللين عاشيها
والنفس تعلم أني لا أصدقها ولست أرشد إلا حين أعصيها
والعين تعلم من عيني محدثها إن كان من حزبها أو من أعاديها

وأعظم الناس إسلامًا أحسنهم خلقًا: ففي الأدب المفرد للبخاري [1]

(١) صحيح الأدب المفرد برقم (٢١٨) .

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**خيركم إسلامًا أحاسنكم أخلاقًا إذا فقهوا**» .

ومن أعظم الأسباب المعينة لحُسن الخُلق:

الدعاء فعند ابن حبان [١] عن قطبة بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان النبي ﷺ يقول: « **اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء، والأسواء والأدواء**» .

وفي صحيح مسلم [٢] عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال : « **وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا وما أنا من المشركين ، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ، اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت ، اللهم أهدني لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت ، واصرف عني سيئها ، لا يصرف عني سيئها إلا أنت...**» .

وفي صحيح ابن حبان [٣] عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « **اللهم حسنت خلقي فحسن خُلقي** » .

المجاهدة لأن الخُلق الحسن نوع من الجهاد وقد قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[العنكبوت :٦٩] .

النظر في سيرة رسول الله ﷺ وأخلاقه وأخلاق أصحابه.

مصاحبة الأخيار وأهل الأخلاق الفاضلة.

وأما أسباب تغير حُسن الخُلق فهي كثيرة منها:

١ - الهموم فالهموم تذهل اللب وتشغل القلب وقد قيل الهم كالسم.

---

(١) صحيح ابن حبان برقم (٩٦٠) .
(٢) مسلم برقم (٧٧١) .
(٣) صحيح ابن حبان برقم (٩٥٩) .

٢- الأمراض فالأمراض تغير طبيعة الإنسان ولا يحتمل الصبر ويضيق صدره سريعًا.

٣- الفقر إما تحسرًا على المال أو أسفًا على الغنى .

٤- الغنى فيقع الإنسان بسببه في الكبر والأشر .

٥- الولاية فكم غيرت الولاية من أناس والله المستعان.

٦- علو السن وحدوث الهرم وغيرها من الأسباب التي قد تغير بعض الناس، نسأل الله السلامة والعافية.

والله تعالى أعلى وأعلم.